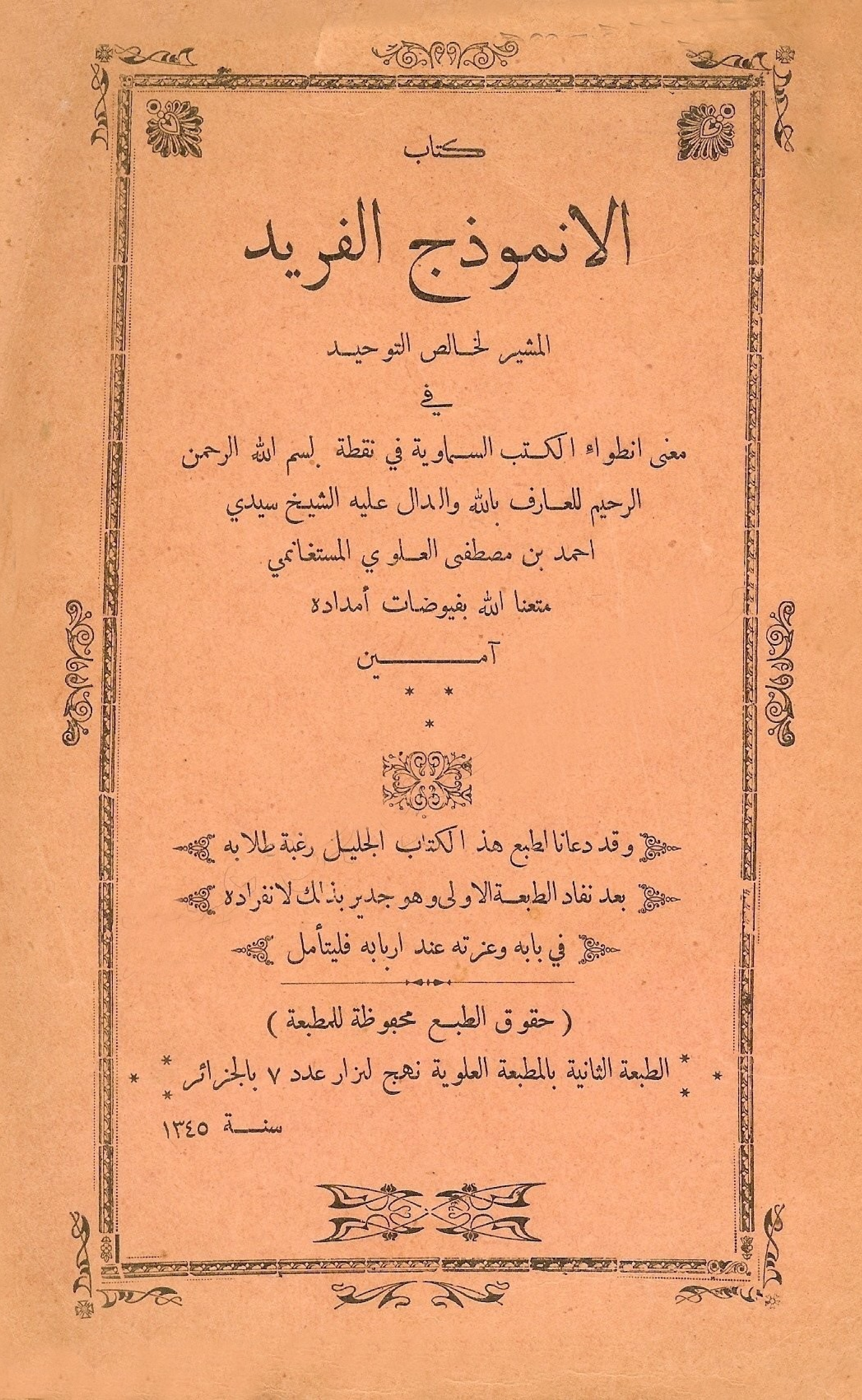


كتاب

الانموذج الفريد

المشير لخالص التوحيد

في

معنى انطواء الكتب السماوية في نقطة بسم الله الرحمن الرحيم للعارف بالله والدال عليه الشيخ سيدي احمد بن مصطفى العلوي المستغانمي

متعنا الله بفيوضات أمداده

آمين

* * *

وقد دعانا الطبع هذ الكتاب الجليل رغبة طلابه

بعد نفاد الطبعة الاولى وهو جدير بذلك لانفراده

في بابه وعزته عند اربابه فليتأمل

الطبعة الثانية بالمطبعة العلوية نهج لزار عدد ٧ بالجزائر

سنة ١٣٤٥



أذكرك اللهم باسمك الرحمن الرحيم * واستاخرك اللهم بعلمك القديم * فيما دوناه وإنه لشيء عظيم * واسترشدك اللهم برشدك القويم * المتصل بصراطك المستقيم * أن تعصمنا من كل فهم سقيم * فاني مظهر الكلام وانت المتكلم إذ لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * فضلك توتيه من تشاء وانت ذو الفضل العظيم * اشكرك اللهم على ما منحتنا وإنه لخير عميم وأسألك اللهم بكل قلب سليم * أن تصلي صلاة مقرونة بالتعظيم * على من قلت فيه إنك لعلى خلق عظيم * بالمؤمنين رؤف رحيم * وعلى بقيته الصالحة في هاته الامة * فامطر اللهم عليهم سحائب الرحمة * فانهم جمعونا بك حتى صار نظرنا بعنايتك لا يقع إلا عليك * وتوجهنا برعايتك لا يكون إلا إليك * واستغفرك من دعواي الوجود * فمنك بدأ الامر وإليك يعود.

أما بعد فيقول كثير المساوي عبد ربه (احمد بن مصطفى العلوي) اني جمعت هذه السطور حسبما سمح لي به الشعور * والباعث على تحريرها رغبتي في هذا الفن العظيم * واهتماما بما ورد في الاثر الفخيم من « إن كل ما في الصحف الاولى منطوي في نقطة بسم الله الرحمن الرحيم » فأقول ورد في الخبر « إن كل ما في الكتب المنزلة فهو في القرآن وكل ما في القرآن فهو في الفاتحة وكل ما في الفاتحة فهو في بسم الله الرحمن الرحيم » وورد أيضا « كل ما في بسم الله الرحمن الرحيم فهو في الباء وكل ما في الباء فهو في النقطة التى تحتها » وقد ذكره الجيلي في كتابه المسمى بالكهف والرقيم انه حديث مرفوع

وعند مـا تداولت هذا الاثر الاقـلام وطرق سمع كل خـاص وعـام تشوف الجميع لمكنوناته * والكل يروم الاطلاع على مخبئـاته * فـاشتد على ذلك الازدحام * فحركتني الغيرة الى ان وقفت على الاقدام * وتشبثت للاخذ من طيبه * فوقع بيدي العرف من اصله * فاستخرجته من بين الاكام ودخلت به على العلماء الاعلام * فتناولوه بيد التبجيل والتعظم * والكل يقول ان هذا إلا ملك كريم * فقلت إنه مباين لمقامي * إذ هي رمية من غير رام * فاجاب الحال « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »

مقدمة الكتاب

قال عليه الصلاة والسلام « من كتم علما يعرفه بريء من الايمان » وعليه فتعين على العالم ان لا يكتم معلومـاته لما في هذا الحديث من الوعيد ولا يلزم منه افشاء سائر العلوم اذ منها مالا يحل افشاؤه (١) الا على سبيل التورية كما في هذا الاثر الذي هو موضوع رسالتنا وقد استبعدت ظاهره الافهام فلم تداوله الا على سبيل الايمان به ولهم العذر في ذلك إذ من يطيق ان يرى كل الكتب المنزلة على اختلاف متعلقاتها لفظا ومعنى في نقطة البـاء مع صغر الجرم * وقلة الفهم * والمحجوب عن الله اقرب الى الانكار منه الى الاقرار ولاجل هذا وجب الاستتار * لما في الحديث « ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا اظهروه انكرته اهل الغرة بالله » قلت لاينبغي للعاقل ان يعجل بالاعتراض عما يسمعه من الكلام البليغ الصادر من العلماء بالله والا فانه يكون داخلا في الشطر الاخر من الحديث * ولما كان مضمون الاثر يشير الى التوحيد الخاص * لزم ان لا يكون لي منه مناص * فاشير

---

(١) يعنى الا بين اهله وهو المعبر عنه بعلم الخاصة قال الامام علي كرم الله وجهه لقد دمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة نقله في نهج البـلاغة

يعض لوازمه * واجمع القلوب على ظاهره و باطنه « وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » واني كلما ذكرت اسما من اسماء الغير * فذلك من مقتضى التعبير * فلاتفهم الغير على حقيقته فيفوتك خير ما اشرنا لك به فانا جئناك بنبإ عظيم فاجنح لما يفيدك الاستغراق * واخرج من التقييد الى الاطلاق * عساك ان تفهم ما في النقطة وما يفهمها الا العالمون وما يلقاها الا ذو حظ عظيم * وكلما ذكرت آدم فنعني به نزول الحق الى سماء الدنياونعني بالدنيا بطون الكائنات * في غياهب الاسماء والصفات ونعني بالصفات ظهور الحق لنفسه عند تجليه الاول و بالاسماء ظهور الصفات لنفسه عند التجلي الثاني والاول هو عين الثاني وهذان رتبتان هما المعبر عنهما بالآولية والاخرية والظهور والبطون فظهوره في بطونه واوله في آخره ومن هنا يقال لانفي ولا إثبات إنما هو ذات في ذات وهاته الذات هي المعبرعنها في لسان القوم بوحدة الشهود المشار إليها في الاثر الشريف بالنقطة وهي التي تدفقت منها سائر الكائنات * حسبما تقتضيه الاسماء والصفات * وكلما ذكرت النقطة فنعني بها غيب الذات المقدسة المسماة بوحدة الشهود وكلما ذكرت الالف فنعني به واحد الوجود المعبر عنه بالذات المستحقة للربوبية وكلما ذكرت الباء فنعني بها التجلي الاخير المعبر عنه بالروح الاعظم ثم بقية الحروف والكلمات والكلام * فعلى حسبما يقتضيه المقام * واما محور الكتاب فهو دائر على اول الحروف الهجائية لما لها من المزية * السابقون السابقون اولئك المقربون * وهي ا ب وكل حروف هجائية لابد من تقدم الحرفين عليها وتكون بمنزلة البسملة في الكتاب لان مجموعها أب وقد تزاد التاء للتفخيم فتقول أبت وهي اسم من اسمائه تعالى على الغة العبرانيةو به كان عيسى عليه السلام يناجى ربه ومنه قوله اني ذاهب الى أبي وابيكم أي الى ربي وربكم واذا فهمت ان هذين الحرفين لهمامعنيكنتعنهابمعزل فلاتستبعدماسنذكره في النقطة وفي بقية الحروف

الكلام على النقطة

كانت النقطة في كنزيتها قبل تجليها بذات الالف كما سيأتي ان شاء الله وكانت الحروف مستهلكة في كنهها الغيبي الى ان ظهرت بما بطنت * وتجلت بما استترت فتشكلت في مظاهر الحروف كما ترى واذا تحققت لم تجد الا ذات المداد المعبر عنه بالنقطة حسبما قيل

ان الحروف اشارات المداد فلا * حرف هناك سوى ذات المداد طلا
طلا الحروف اللواتي صار صبغتها * وهما و صبغته صارت وما انتقلا
بطونها كان في غيب المداد كما * ظهورها كان بالتقدير منه الى
وهي التقادير منه والشؤن له * وليس ثم سواه بافهم المثلا
وانهن سواه لا تقل هي هو * تخطى ولا هو ايضا هن مختبلا
فانه كان من قبل الحروف ولا * حرف ويبقى ولا حرف هناك ولا
وهالك كل حرف في العيان سوى * وجه المداد بمعنى ذاته جعلا
فللحروف ظهور وهي خافية * وذاك عين ظهور للمداد جلا
والحرف ما زاد شيئا في المداد ولم * ينقصه شيئا ولكن فصل الجملا
وما تغير بالحرف المداد وهل * مع المداد وجود للحروف الا ؟
الا بحقق مقالي ما الوجود هنا * سوى وجود مداد عند من عقلا
واين ما كان حرف لم يزل معه * مداده فاعقل الامثال ممتثلا

والمعنى انه ليس شيء هناك ظاهر في نفس الحروف سوى ذات النقطة المعبر عنها بالمداد المطلق من اجل ما تضمنته من استهلاك سائر الحروف في حقيقتها قبل التجلي و بعده اذ ليس للحرف وجود في الخارج ولو بعد التجلي الا نفس المداد فالحروف كائنة بكينونة النقطة لا باستقلالها واذا فهمت ما ذكرناه من استهلاك سائر الحروف في نفس النقطة فلا يفوتك ما سنذكره من استهلاك سائر الكتب في نفس الكلام واستهلاك الكلام

في نفس الكلمة واستهلاك الكلمة في نفس الحرف والمعنى انه يلزم من عدم الحرف عدم الكلمة ومن عدم الكلمة عدم الكلام ومن عدم الكلام عدم الكتاب اذ لا وجود للكلمة الا بوجود الحرف اما لفظا واما خطا والتفصيل فرع الاجمال والكل مندرج تحت وحدة الشهود المعبر عنها بالنقطة كما تقدم وهي أم لكل كتاب « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » جاءت النقطة على خلاف ما في الحروف « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ولهذا لا يقع عليها حد التعريف كما يقع على غيرها من الحروف فهي منزهة عن كل ما يوجد في الحرف من طول وقصر واحتداب فلا تعقل بما يعقل به الحرف رسما ولفظا فبينونتها من الحرف معقولة وكينونتها فيه مجهولة الا لمن كان بصره حديد « او القى السمع وهو شهيد » وان كانت الحروف من صفتها تحقيقا لا تحيط الصفة بالذات والمعنى انها لا تختص بما تختص به الذات من جميع الوجوه فالذات مختصة بالتنزيه والصفة قائمة بالتشبيه وان كان التشبيه هو عين التنزيه من حيث وحدة المداد لان الحروف تشابهت ببعضها والتشبيه لا يناقض تنزيه المداد في نفسه ولا يناقض وحدته الموجودة في كل حرف حرف فلهذا كان التشبيه عين التنزيه حيث تشبه المداد بنفسه لنفسه « وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله » فكيفما كان وحيثما كان فهو اله ولا يمنعك ما تراه في ارض التشبيه عما هو عليه في سماء التنزيه فكل من التنزيه والتشبيه « فاينما تولوا فثم وجه الله » وهذا من حيث الوصف العام المتدفق من فياض النقطة على افتقار الحروف واما وصفها الخاص اللازم لكنهها الغيب فهو لا يمكن ظهوره في الحروف بحال فالحرف لا يحمل شيئا من لوازم النقطة لا في الصفة ولا في المعنى الا ترى انك اذا رسمت بعضا من الحروف الهجائية كما هنا ا ب ت ث فانك تجد لكل حرف حرفا اخر مماثلا له فالباء تماثلها التاء وهي تماثلها الثاء مثلا ثم

اذا اردت النطق بحرف من هاته الحروف تجد له مخرجا في النطق يخصه وليس للنقطة مخرج خصوصي حتى انك اذا رسمتها كما هنا . تجد صورتها مباينة لجميع الحروف واذا اردت التلفظ بحقيقتها فانك تقول النقطة فيجنح بك اللفظ الى حروف ليست من ذاتها وهي النون والقاف والطاء والتاء فاتضح لنا ان النقطة معناها لا تحويه الا الفاظ فكنه ذات الباري جل شأنه ليس له لفظ يفصح عن ماهيته ومن اجل هذا كلما تكلم عارف بكلام يريد به التنزيه او تقول البيان الكلي لاوصاف الذات يبرز مباينا لقصده لضيق العبارة « وما قدروا الله حق قدره » وربما تبرز الكلمة تقرب من التشبيه او التعطيل وليس مقصود العارف الا التوحيد المحض الاترى ان المتلفظ بالنقطة هل اراد التلفظ بها ام بالحروف الثلاثة ويشبه هذا ما كان يجري على لسان عيسى عليه السلام من ذكر الاب والابن وروح القدوس وما كان يقصد بذلك الا توحيد الذات فاعتقد النصارى إن الله ثالث ثلاثة « وما من اله الا اله واحد » وعليه فالمتكلم يريد تنزيه النقطة عما يوجد في الحروف فيتكلم بنفس الحروف غير أن الحروف لا تعتبر غيرا لوجود قيومية المداد بكل حرف (قل هو القائم على كل نفس بما كسبت) ولولا قيوميته لم ير موجود قائم البنية لذاته بهذا الاعتبار وبذلك ايضا اتسعت دائرة الكلمات فكانت لا نهاية لها (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) وكيف ينفد من لا نفاد له وهذه الكلمات هي المتجلية بسائر الكلام (وكلمته القاها إلى مريم وروح منه) أي تجلى بها الى مريم (فتمثل لها بشرا سويا) فكل كلام مفرع عن الكلمة فالكلمة كناية عن تجليه بنفسه لنفسه والكلام كناية عن تجليه بخلقه لخلقه فالكلام فرع الكلمة والكلمة فرع الحروف والحروف فرع النقطة والنقطة هي السر المحيط بالجميع (وكان الله بكل شيء محيطا) وعليه اذا جردت الحرف من النقطة لم يجد

شيئا ووجدت الله عنده وتعرف حينئذ إن النقطة هي الظاهرة بكل شكل ومبنى وصورة ومعنى وأما قولنا إن الكلمة هي فرع عن الحروف مع قولنا إن الكلمة هي عين النقطة فنعني بوجود الكلمة هنا وجودها الحكمى لا وجودها العيني ويجري على الخلاف في كون الوجود هل هو عين الموجود وبه قالت الاشاعرة كانت النقطة في عمائها الاول حين لا فصل ولا وصل ولا بعد ولا قبل ولا عرض ولا طول وكل الحروف مستهلكة في كنهها الغيبي كما تقدم كما كانت الكتب مستهلكة في الحروف على اختلاف مداولاتها واستهلاك الكتب في الحروف يشعر به كل من له ادنى شعور اذ لو فتشت الكتاب لم تجد فيه ظاهرا على صفحاته حاملا لمعانيه غير الثمانية وعشرين حرفا فهي المتجلية بكل لفظ ومعنى تتلون بالالفاظ المختلفة والمعاني المتباينة الى «ان يرث الله الارض ومن عليها» والى» «الله تصير الامور» فتصير الحروف إلى مركزها الاصلي حين لا شيء الا ذات النقطة ثم اعلم أن النقطة كانت في عمائها حالة استهلاك الحروف في ذاتها وكان لسان كل حرف يطلب ما تقتضيه حقيقته من طول وقصر وعمق وغير ذلك وهكذا تحركت دواعي الكلام على وفق ما تقتضيه اوصاف النقطة الكامنة في ذاتها وعند ذلك تعين التجلي الاول

الكلام على الالف

أقول ان اول ما تجلت به النقطة وظهرت به ظهوراً يقتضي التعريف هو وجود الالف فجاء على صورة التنزيه اقرب منه للتشبيه ليكون موجودا في كل الحروف بصفته مباينا لها بحقيقته ثم اعلم ان ظهور الالف من النقطة ليس معللا بشيء وانما رشحت النقطة به فكتب الحسن على وجناتها الفاً كما ترى فالالف الاصلي ليس هو اثر القلم ولا من متعلقاته انما هو ناشيء من ميلان النقطة عن مركزها الاصلي ومهما سالت منها رشحة نشأ عنها الف لاغير . وقولنا لا يتعلق به القلم اي لا ايجادا ولا استمدادا لاستقامته وتنزيهه

عما وجدفي بقية الحروف من الاعوجاج والاحتداب وغير ذلك فكانه (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) اما الحروف فلا بد من جريان القلم عليها فلا يظهر حرف الا بواسطة القلم لما يوجد فيها من التجويف والاستدارة وغير ذلك

نعم قد يظهر الالف بواسطة القلم مع استغنائه عنه كما تقدم ولا يخل ذلك بمرتبته التنزيهية لما يوجد في القلم من صورة الالف طولا واستقامة فهو نفس الالف فيكون ظهور الالف بنفسه لنفسه لا غير . فوجود الالف ليس معللا بشيء على كل حال . وقد تقدم ان الالف كناية عن واحد الوجود الذي لم يسبق وجوده وجود فظهور النقطة بالالف هى المسماة بالاولية . قبل التجلي فلا توصف بذلك كما لا توصف بالآخرية « هو الاول والآخر والاظاهر والباطن » ولهذا كان هو اول الحروف الهجائية فأوليته لا تخفى على البصير وإذا ثبتت له الاولية فلا محالة تتمحض له الآخرية ولهذا كان آخر الحروف الهجائية ايضاً ويسمى همزة فكانه يقول بلسان حاله الى الحروف الي مرجعكم جميعا نعم « والى الله تصير الامور » وأما ظهوره في الحروف فهو معقول ان تاملته تجد ما من حرف الا ومادته ومساحته ماخوذة من الالف فما الحاء الا الف محدودب وما الميم الا الف مستدير وهكذا ظهور الالف في كل حرف حسبما اقتضته حكمته ولكن لا تدركه الابصار وهو معنى البطون ومن المعلوم ن الانسان كائنا من كان لا يدرك وجود الالف في دائرة الميم الا بعد الاستخدام وما منعنا عن ادراكه الا وجود استدارته حيث تجلى بصفة ليست معقولة عندنا وهو نفس الحجاب وقيل في ذلك :

هو امكان كل شيء تبدى * وهو نفس الرسوم نفس القيود
وله دورة كلمحة برق * هي من عين وقفة وجمود
وهو امر الاله في كل خلق * بالتقادير في الشقا والسعود
الف باستقامة وهي ميم * حيث دارت في خدمة المعبود

عما وجد في بقية الحروف من الاعوجاج والاحتداب وغير ذلك فكانه (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) اما الحروف فلا بد من جريان القلم عليها فلا يظهر حرف الا براسطة القلم لما يوجد فيها من التجويف والاستدارة وغير ذلك

نعم قد يظهر الالف بواسطة القلم مع استغنائه عنه كما تقدم ولا يخل ذلك بمرتبته التنزيهية لما يوجد في القلم من صورة الالف طولا واستقامة فهو نفس الالف فيكون ظهور الالف بنفسه لنفسه لا غير . فوجود الالف ليس معللا بشيء على كل حال . وقد تقدم ان الالف كناية عن واحد الوجود الذي لم يسبق وجوده وجود فظهور النقطة بالاف هى المسماة بالاولية . قبل التجلي فلا توصف بذلك كالا توصف بالآخرية « هو الاول والآخر واالظاهر والباطن » ولهذا كان هو اول الحروف الهجائية فأوليته لا تخفى على البصير وإذا ثبتت له الاولية فلا محالة تتمحض له الآخرية ولهذا كان آخر الحروف الهجائية ايضاً ويسمى همزة فكانه يقول بلسان حاله الى الحروف الي مرجعكم جميعا نعم « والى الله تصير الامور » وأما ظهوره في الحروف فهو معقول ان تأملته تجد ما من حرف الا ومادته ومساحته ماخوذة من الالف فما الحاء الا الف محدودب وما الميم الا الف مستدير وهكذا ظهور الالف في كل حرف حسبما اقتضته حكمته ولكن لا تدركه الابصار وهو معنى البطون ومن المعلوم ن الانسان كائنا من كان لا يدرك وجود الالف في دائرة الميم الا بعد الاستخدام وما منعنا عن ادراكه الا وجود استدارته حيث تجلى بصفة ليست معقولة عندنا وهو نفس الحجاب وقيل في ذلك :

هو امكان كل شيء تبدى * وهو نفس الرسوم نفس القيود
وله دورة كلمحة برق * هي من عين وقفة وجمود
وهو امر الاله في كل خلق * بالتقادير في الشقا والسعود
الف باستقامة وهي ميم * حيث دارت في خدمة المعبود

والوجود الوجود ما زال عمما * كان فيه بخطها الممدود

جاء في الخبر ان الله تعالى يظهر لاهل المحشر على صفة ليست معقولة عندهم فيتعوذون منه فات لا يتعوذ منه في الآخرة الا من جهله في هذه الدار وتعوذ منه « يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه » فمن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى . كان جبرائيل ياتي للنبيء عليهما السلام على صورة دحية الكلبي فهل ذلك نقصان في مرتبته حيث ظهر على غير صفته الخاصة كلا بل ذلك لشدة كماله وهل منعه صلى الله عليه وسلم ذلك عن ادراكه كلا بل كان ياخذ منه حالة التشبيه ما ياخذ منه حالة التنزيه فيتلقى منه على اي صورة كانت ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه تعوذ منه بخلاف سيدتنا مريم فانها تعوذت عند ما تمثل لها بشراً سوياً فقالت « اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » وما ذلك الا لقصور معرفتها بالنسبة لمعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظنت ان جبرائيل ليس له الا صفة مخصوصة ولا يمكنه التنزل الى غيرها ففاتها الحضور مع روح الله لولا ان قال لها « اني رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » فصفت نظرتها حينئذ في جبرائيل واستغفرت الله مما كانت عليه وهكذا يقع لكل من تغفل عن ظهور الحق في هذا العالم مع علمه بانه محل للظهور وهناك موانع المانع الاول من ادراكه عدم الشعور والمانع الثاني سوء الفهم وعدم العلم وبالجملة هو تحجيرنا على الالوهية حيث قيدناها باوصاف مخصوصة والزمناها ان لا تخرج عنها ففاتنا خير بقية الصفات التى تجلت بها الآن وقبل الآن وبعد الآن والكل عنها بمعزل الا من لقي الله بقلب سليم * وعرف الالف في دائرة الميم * الحق عز وجل له الاختيار التام والمشيئة النافذة في التجلي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهل يريدون معاتبة الالوهية اذا ظهرت بصفة ليست معقولة عندهم « قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون » فله عز وجل ان يظهر لمن شاء

كيف شاء وبما شاء الم يبلغك انه رءاه عليه الصلاة والسلام على صورة شاب امرد وقد ظهر لابراهيم عليه السلام في بعض الاجرام السماوية وقد شاهدته اكابر العارفين في كل صورة ومبنى ولفظ ومعنى على اختلاف طبقاتهم « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » ومن ذلك ما ذكر عمر ابن الفارض رضي الله عنه حيث يقول

قد تراءيت في سواك لعيني   بك قرت وما رايت سواك

وكذاك الخليل قلب قبلي   طرفه حين راقب الافلاك

وقد يشتد ظهور الحق في بعض المظاهر دون بعض فلا تستعصى ملاحظته للناظر الا ترى ان الالف تتمكن معرفته في بعض الحروف دون بعض فصورة اللام تقرب من صورته مثلا وفي باء البسملة ما يشعرك بظهور الالف فيها واما فيما سوى ذلك من الحروف فتتعذر معرفته الا للقليل واما بالنظر الى الكل فانه يجهل رتبة الالف فمنهم من يعرفه في الاولية ويجهله في الآخرية ومنهم من يعرفه في الرتبتين وعلى كل حال من لم يعرفه في كل حرف صغير وكبير طويل وقصير اول وآخر فهو قائل بالجهة ولم يشعر واذا فهمت إن الالف هو المتجلي بكل حرف فهل ذلك نقصان في مرتبته التنزيهية مع ابقائه على صفته الخاصة كلا فحقيقة الالف لم تزل على حقيقتها ولا ارى نقصانا في ذلك بل اراه من كمالاته وارى النقصان والله اعلم فيمن الزمه صفة لا يتعداها الى غيرها فقد حصره وقيده وجهله وشبهه وجعله شيئا كبقية الاشياء وحقيقة المعرفة اللائقة بمقامه هو ان ترى الالف متجليا بكل لفظ وتصنيف فالكل الف تجده متلونا بكل حرف ظاهرا بكل وصف حائزا مراتب الوجود دائرا وممدودا مفردا ومعدودا فتقول حينئذ لولا الالف ما وقع التاليف فكل من الالفة والتاليف مشتق من الالف فالنقطة ظاهرة بالالف والالف ظاهر بسائر التاليف وليس بعد هذا

التعريف تعريف ولعلك تقول من الف هذا التأليف وصير الحروف الفا اقول الله هو المؤلف « لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » اي هو الذي صير الجميع الفا ويكون استواء الالف على الحروف من باب استواء الظاهر على ما به ظهر « له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى »

هو الحق المحيط بكل شيء * هو الرحمن ذو العرش المجيد
هو النور المبين بغير شك * هو الرب المحجب بالعبيد
هو المشهود في الاشهاد يبدو * فيخفيه الشهود عن الشهيد
هو عين الاعيان لكل غيب * هو المقصود من نفس القصيد
وهذا القدر في التحقيق كاف * فكف النفس عن طلب المزيد

قال عليه الصلاة والسلام « كان الله ولاشيء معه » تأمل هذه الكينونة ان كانت تفيد الدوام والاستمرار فما تقول فهل تتوهم وجود الغير ايها العاقل بل ولو تعمدته لا تضح عندك ان الالف هو الاول والاخر والظاهر والباطن ولايمنعك من معرفة الالف ما تراه من اعوجاج الحروف فكل لحكمة يخفيها الشهود عن الشهيد جاء في الخبر ان الله ينزل الى سماء الدنيا في الثلث الاخير من الليل فاستوى الى السماء وهي دخان وهل هذا الا من تنزله ومنه ايضا استواؤه على العرش فاياك ان تفهم النزول وتنكر التنزل فكلما ذكر النزول الا والمراد به التنزل والله اعلم ومنه نزول القرآن من من مكانته التنزيهية اللازمة للصفة الازلية إلى ان صار حروفا واصواتا وهل ذلك يمنعنا من تنزيهه لا ولكن توهمه البعض حتى قال انه مخلوق وكل ذلك بسبب تنزله الى صفة ليست في امكان العبد ولا يلزم من عدم وجودها في امكانه عدم وجودها في امكان الالوهية وهكذ قيل ايضا في منزل القرآن لما ظهر من وراء حجاب الكائنات اتقولون للحق لما جاءكم

اسحر هذا وهو يقول « وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما الا بالحق » وهل الحق غيره كلا انما هو ذاته وعينه

ومن اعجب الامر هذا الخفا * وهذا الظهور لاهل الوفا
وما في الوجود سوى واحد * ولكن تكثر لما صفا
واصل جميع الورى نقطة * على عين امرء بدت احرفا
وتلك الحروف غدت كلمة * فكانت مشوق الحشا المدنفا
فان قلت لا شيء قلنا نعم * هو الحق والشيء فيه اختفا
وان قلت شيء تقول الذي * له الحق اثبت كيف انتفا

الالف من حيث ذاته منزه ومن حيث صفته مشبه ببقية الحروف اذ الحرف لا يمكنه ان يقوم بصفة لا توجد في ذات الالف ولو قام ما سوى ذلك لزم عدم احاطة الالف بتجلياته وذلك لا يعقل لما تقدم من احاطته بجميع الحروف «وكان الله بكل شيء محيطاً » والمراد بالاحاطة هنا الاحاطة العينية لا الدورية لما يلزم معها من وجود الغيرية والحالة لا غير لما ذكرنا من ان الالف هو الظاهر بسائر الحروف على اختلاف مقاديرها « ذلك تقدير العزيز العليم »

الكلام على الباء

اقول ان الباء هي اول صورة ظهر بها الالف ولهذا تجلى فيها بما لم يتجل به في غيرها اي بصفتها الخاصة وسبب ذلك عدم الواسطة بينهما وما قارب للشي يعطى حكمه « فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى » وقد يظهر في القريب مالا يظهر في البعيد ولا ارى في الحروف من هو اقرب للالف من الباء قال وقوله الحق « ما زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الخ فلهذا جاءت الباء باوصافه « خلق الله آدم على صورته وليس المراد بآدم الا الانسان الاول وهو روح

الوجود فلهذا خلفه في ارضه وامر الملائكة بالسجود اليه

ولو لم يكن في وجه آدم حسنه * لما سجد الاملاك وهي خواضع

وهل كان ذلك السجود لغيره كلا « ان الله لا يغفر ان يشرك به » جاءت باء البسملة على خلاف عادتها صورة وحكما « وانك لعلى خلق عظيم » وليست عظمتها غير عظمة الالف بل « ومن يطع الرسول فقد اطاع الله » نائبة منابه الا ترى ان الباء في غير البسملة لم تستطل كما فيها وان ذلك الطول هو نفس الالف المحذوف في البسملة لان الاصل في بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله فحذف الالف من محله وظهر على صورة الباء فكانت الباء على صورة الالف فاسمع به وابصر ومنه قوله تعالى « تراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » ومن المعلوم ان الانسان لا يبصر الالف في صورة الباء وعليه فالباء في البسملة قائمة مقام الالف ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي » وانت ترى ان الباء لا يسعها في بعض الاوقات الا الالف صورة ونقطة الا ان نقطة الالف من اعلاه ونقطة الباء من اسفلها وكل لحكمة يعقلها العالمون ففهمناها سليمان جاءت نقطة الالف من اعلاه كما ترى (أ) لتفيدك انها ظرت به وليس هو غيرها انما هي عين دمعت وقطرة رشحت وباتحادها سميت الفا ولا نقص فيما تنزلت به النقطة لسلامة الالف وبراءته من العيوب فبقيت نقطة على تنزيهها القديم « وانا فوقهم قاهرون » وما وقع التنزل الكلي الا عند ظهور الالف بالباء ثم ببقية الحروف فكان منه ما كان وان كانت الباء جاءت على صورة الالف فقد اختل الحد والتعريف الباء باء و الالف الف فظهور الالف بالحرية والباء بالتكليف فلهذا تعين التعريف لئلا ننفي عن الحروف ان تتضمن معنى الالف او نعتقد ان الحرية تنافي التكليف فجاءت النقطة من تحت الباء وهي التي من فوق الالف ونستفيد ايضا ان النقطة هي التي ظهرت بالسفليات كما انها ظهرت بالعلويات فظهورها بالذات لا يمنع تعرفها لنا بالصفات

قال عليه الصلاة والسلام « لو دليتم بحبل الى الارض السابعة لهبطتم على الله » فكانت نقطة الباء من اسفل تشير الى محو الكل « كل شيء هالك الا وجهه » وهو الذي في السماء اله وفي الاوض اله » ولنفهم ان النقطة ظهرت بالالف وتسترت بالباء كانت هي فوق الالف وكانت الباء فوقها فوجود الباء فوق النقطة شبه وجود الجدار على الكنز الذي اخافه الخضر ان ينقض ولهذا قيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاب الله الاعظم القائم بين يديه وعند ما عرفت الباء منزلتها عند الالف قامت بما وجب عليها تعريفاً وتكليفاً فمن التعريف التصاقها ببقية الحروف لأنها من جنسها بخلاف الالف فإنه لا يتصل بالحروف إذا كان في اولها انما الانتهاء اليه « وان الى ربك المنتهى » وان خصصت الباء بمعاني كثيرة فثمرة جميع معانيها راجعة لمعرفة الالف فنقول هي سبب او باب للدخول على الالف « واتوا البيوت من ابوابها » كانت الباء في البسملة قبل الالف وحذف الالف لدلالتها عليه كما تقدم فبقيت الباء بدون الف كانها تقول بي اسم الله فضميرها يشير للاسم قائل انا اظهرتك كما انك اظهرتني ولمثل هذا أشار القائل

فلولاك ما كنا ولولاي لم تكن * فكنت وكنا والحقيقة لا تدرى
فاياك نعني بالمعزة والغنى * واياي تعني بالفقير ولا فقرا

ولهذا يقال ان اسم الله من العارف ككلمة كن من الحق عز وجل لانها كلمة اثبتت المفعول وضمير الباء اثبت الفاعل وضميرها هو ضمير الانسان الكامل او نقول روح الوجود وكل ما اضمرته الباء فهو من لوازم الشكر قال عليه الصلاة والسلام « من كرامتي على ربي قعودي على العرش » مع انه مستوى الرحمن ولا يكون التصاق الباء بالاسم الاعظم من حيث كونها باء بل يكون ذلك من حيث كونها الفا في صورة باء لان التقدير في بسم الله الرحمن الرحيم اسم الله مبدوء به فلا باء حينئذ انما هو الف لان التقدير يرد الاشياء الى اصولها « يوم نطوى

السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا اول خلق نعيده »

خاتمة

أقول من الممكن ذكر كل حرف على حدته والاتيان ببعض مكنوناته ولما في ذلك من التطويل تقتصر على القليل من القليل وقد تقدم لناما للالف من الاحاطة والشمول بكل حرف فاحاطته بها من حيث الاولية والاخرية احاطة دورية ومن حيث الظهور والبطون احاطة عينية اي هو لا هي وهذه غاية معرفتك بالالف فإن عرفته بها فقد وفيت حق معرفته والا فما قدرته حق قدره ولا يمنعك من تنزيه الالف ماتراه من اعوجاج الحروف فهو لم يزل الفا ولن يزال كذلك فهو ذات والحروف صفات وتنوع الصفات لا يناقض لازم الذات الذي هو التنزيه وان ثبت ان كل باء الف فلا يلزم ان يكون كل الف باء فالبعض لا يشمل الكل وإلا لزم إحاطة الصفة بذاتها وذلك لا يعقل فالباء وان ظهرت بصورة الالف ولكنها لم تحط بجلياته ولو احاطت لكانت الفا واذا تعطل كل التجليات ويلزم منها تعطيل ذات المتجلي والحالة ان التجلي موجود كما ترى فتدلى من قدس الالف فياض فتشكل بالحروف « تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل » « ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » « والله لا يحب الفساد » والمعنى انه لافساد في الشقاق وفاق واعوجاج الحروف استقامة لمظاهر وفاتها فلولا اعوجاج الجيم ما اتضح معنى الميم فمحمول المحدودب غير محمول المستقيم « وكان الله بكل شيء عليما » ما صدر من القلم الا ما وافق العلم « كل ميسر لما خلق له « فطرة الله التي فطر الناس عليها » « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فكل على طاقته استقامة واعوجاجا « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » فتكليف المستقيم غير تكليف المحدودب فلكل حكم يخصه جاء في حق المستقيم « فاستقم كما امرت » ولم يحمله فوق طاقته لان الاستقامة كانت من نعته وجا

في حق من سواه « فاتقوا الله مـا استطعتم » اي حسبما سمح لكم به ذلك الاعوجاج اللازم لذواتكم « خلق الانسان ضعيفاً » اي لابد من شيء يناقض استقامته وهذه شهادة من الحق دلت على وجود استقامته في الباطن وان لم تر في الظاهر ولا يلزم من عدم وجداننا لها عدم وجودها في الواقع ومتى نتحقق نجد الاستقامة في عين الاعوجاج وهكـذا

ألا فلتحقق ان كل استقامـة * بغير اعوجـاج ما عليها معول
فإن اعوجاج القوس عين استقامة * في يدى الرامي فلا تتحـول
ولما استقام السهـم زال بسرعة * عن القوس فافهم ايها المتطول
وقصدي بذاك الاعوجاج هو الذي * رأته نفوس جاهلون فجهلوا
ولا يفرقون الحق من باطل السوى * وشيطـانهم يمـلي لهم ويسول
وإلا فإن الاستقـامة عين مـا * هو الشرع يسمو من بها يتجمل
ومـا الشرع الا والحقيقة عينـه * وبينهما قـول للفرق مفصـل

والى هنا انتهى ما سمح الله بنشره ووقف القلم ورجع المداد لنفسه قائلا « أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة من مثله » فالفضل بيد الله لا ممسك لفضله وكان الفراغ من طبعه يوم الخميس الثاني عشر من شعبان سنة ١٣٤٤ هـ